The Sea Motif in the Diwan of Shehab Al-Din Al-Howizi

Abdalsaeed Moghaddam*; Khayriyah Echresh**

Scientific- Research Article **DOI: 10.22075/lasem.2023.28919.1351**

Abstract:

When we refer to the seas in our prose texts, we often mean the real blue and salty waters in which ships travel, fish swim in, and whales sink to the bottom. But when the poet mentions it in his poems, he may not use it in its true meaning, and I found that the poet Shehab al-Din al-Howizi used it in its figurative sense, and motif called it in most of his poems, which requires a search to reveal these hidden meanings in the lines of his verses.

The necessity of this research appears to all readers of Arabic literature, especially those interested in poetry, in the necessity of knowing what is meant by the use of seas repeatedly, according to Shehab al-Din al-Howizi. The research also aims to introduce the motif and this eminent poet. We have followed the description and analysis in our study, where we brought the verses in which the poet deals with the seas, and we explained his purpose by mentioning them. And we have come to the conclusion that Shehab al-Din used verbal improvements, including the counterpoint, the metaphor, and the metaphor in his use of the seas. Sometimes he describes the kings of the Al-Musha'sha'i who praised them as seas that show their pearls to the poor, and this is the opposite of what real seas do that hide their pearls at their bottom. And at other times he guides those who are looking for good in the deep seas to turn to his generosity.

Keywords: Shihab al-Din al-Hawizi, al-Mutif,the sea, al-Musha'sha'iyyun, to praise.

How to cite: Moghaddam, A., Khayriyah, E. The seas Motif in the Diwan of Shehab Al-Din Al-Howizi. **Studies on Arabic Language and Literature**, 2023; 13(36): 189-216. **DOI**: 10.22075/lasem.2023.28919.1351

The Sources and References:

A) Arabic books

*- M.a in Arabic language and Literature, Shahid Chamran University of Ahvaz, Iran. (Corresponding Author.) Email: saeed135057@gmail.com

**- Associate Professor in Arabic language and Literature, Shahid Chamran University of Ahvaz, Iran.

Receive Date: 2022/11/06- **Accept Date:** 2023/03/31.

- **The Haley Quran**.

1. Ibn Abi Salma, Zuhair, **Diwan of Zuhair bin Abi Salma**, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut, 1988.
2. Al-ansary(Ibn Manzoor), Muhammad Bin Makram, **Lisan Al Arab**, Lebanon, Beirut, House of Revival of Arab Heritage. 1988.
3. Pasha, Omar Moussa, **History of Arabic Literature in the Ottoman Era**, House of Contemporary Thought, Beirut, 1989.
4. Al-Radi, Al-Sharif, **Diwan Al-Sharif Al-Radi**, investigation by Abdel-Fattah Muhammad Al-Helou, Ministry of Information, Dar Silsilat Al-Turath, Iraq, 1976.
5. Al-Shafi'i, Muhammad, **Diwan Al-Shafi'i**, investigated by Muhammad Abdel-Moneim Al-Khafaji, Al-Azhar Colleges Library, Cairo, 1985.
6. Shuber, Jassim Hassan, **The History of the Musha'sha'is and the Translations of Their Flags**, Najaf, Al-Adab Press, 1965.
7. Taha, Al-Mutawakil, Hadayek Ibrahim, Beirut, **Arab Institute for Studies and Publishing**, 2004.
8. Abdullah Nasr, Aref, Abu Maatouq Al-Huwaizi, **Poet of the Mushasha'i State**, Arab House for Encyclopedias, Beirut, 2018.
9. Attia, Ahmed Muhammad**, Literature of the Sea**, Dar Al-Maarif, Cairo, 1978.
10. Al-Lami, Abdul Rahman Karim, **Ahwazi National Poet**, King Ali bin Khalaf Al-Huwaizi, Arab House of Encyclopedias, Lebanon, 2012.
11. Al-Mutanabbi, Abu Al-Tayyib, **Diwan Al-Mutanabbi**, Beirut Printing and Publishing House, 1983
12. Al-Musawi Al-Jaza'iri, Sayyid Ni'mat Allah, **Al-Anwar Al-Nu'maniyyah**, Part 4, Chap Company Press, 1380 AH.
13. Al-Musawi, Shihab al-Din, **Divan Taraz al-Balgha wa Khatima al-Fushaa known as Ibn Maatouq**, edited by Saeed al-Shartouni, Beirut, Literary Press, 1885
14. Nasser Ashour, Fahed, **Repetition in darwish's poetry**, Dar Al-Faris for publication and distribution، Jordan, 2004.

B) Persian books

15. Arianpour Kashani, Abbas and Monouchehr, **English to Farsi culture**, Tehran, Amir Kabir publishing house, 1375.
16. Rangbar, Muhammad Ali, **Mushashaiyan intellectual-social Nature and the process of historical development**, Tehran, Ageh publishing institute, 1382
17. Qayyim, Abdul Nabi, **Five Hundred Years of Khuzestan History**, Tehran, Akhtaran Publishing House, 2013.

C) Journals

18. Abad, Marzieh and Blawi, Rasul, "The Motif of the River and the Sea according to Yahya Al-Samawi," **International Human Sciences Journal**, Issue 20, 2013.
19. Balawi, Rasoul, and others, Motif summoning traditional characters in the poetry of Yahya al-Samawi, **Journal of Arabic Literature, Number One**, Sixth Year, 1393.

D) Websites

20. Jebril, layla, «**The senen seas and their names**», almaqal, https://mqaall.com/seven-seas-names/, (2021).
21. Arab Media House, "The Motif in Popular and Individual Literature," Al-Bayan, https://albayan.ae/paths/books/2012-06-10-1.1666168 (2012).
22. Online dictionaries, **English Arabic electronic dictionary**, https://wordreference.com/enar/motif

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

مجلة دراسات في اللّغة العربيّة وآدابها، نصف سنويّة دوليّة محكّمة
السنة الثالثة عشرة، العدد السادس والثلاثون، خريف وشتاء ١٤٠١هـ ش/٢٠٢٣م

موتيف البحر في ديوان شهاب الدين الحويزي

عبدالسعيد مقدم ؛خيرية عجرش **

مقالة علميّة محكّمة
صص ١٩٤- ١٦٧
DOI: 10.22075/lasem.2023.28919.1351

الملخّص:

حينما نتطرّق إلى ذكر البحار في نصوصنا النثريّة، غالبا ما نقصد بها تلك المياه الحقيقيّة ذات اللون الأزرق والشديدة الملوحة التي تسير فيها السفن، وتسبح فيها الأسماك، وتغور في قعرها الحيتان. ولكن عندما يذكر الشاعر البحار في قصائده، ربّما لا يستخدمها بمعناها الحقيقيّ، وقد وجدنا أن الشاعر شهاب الدين الحويزي استخدمها بمعناها المجازي، وكموتيف استدعاه في معظم قصائده، والذي يستلزم بحثا لكشف هذه المعاني المخبّأة في خبايا أبياته. وقد انتهجنا التوصيف والتحليل في دراستنا، حيث جئنا بالأبيات التي يتطرّق الشاعر فيها إلى البحار، فشرحنا غايته من ذكرها. ووصلنا إلى أنّ موتيف البحر أضفى على الأبيات جمالاً لدى المتلقّي، فعندما نسمع لفظه، يستحضرنا جمال طبيعته، ورمال شواطئه، ونوارسه، وسفنه...وهذه تمنح الروح بعض الهدوء والراحة. وظّف شهاب الدين الطباق والكناية والمجاز في استخدامه للبحار؛ فهو تارة يصف ملوك المشعشعيّين الذين مدحهم بأنّهم بحور يُظهرون دررهم للفقراء، وهذا عكس ما تفعله البحار الحقيقيّة التي تُخبّئ دررها في قعرها. وتارة أخرى يهدي الذين يبحثون عن الخير في لجج البحار أن يتوجّهوا إلى كرمه.

كلمات مفتاحيّة: شهاب الدين الحويزي، الموتيف، البحار، المشعشعيّون، المدح.

* – طالب ماجستير في قسم اللغة العربيّة وآدابها، جامعة الشهيدتشمران، إيران:(الكاتب المسؤول)الإيميل: saeed135057@gmail.com
** – أستاذة مشاركة في قسم اللغة العربيّة وآدابها بجامعة الشهيد تشمران أهواز، إيران.
تاريخ الوصول: ١٤٠١/٠٨/١٥هـش= ٢٠٢٢/١١/٠٦م – تاريخ القبول: ١٤٠٢/٠١/١١ هـش= ٢٠٢٣/٠٣/٣١م.

المقدّمة

استخدم معظم الشعراء موتيفاً خاصّاً يلحظه القارئ عندما يستوفي في قراءة دواوينهم، منهم من يستدعي الشخصيّات التراثيّة ليشكو لها حاضره المتناقض التعيس، ويبثّ بحنينه إلى الماضي البسيط والناصع بكلّ ما تعنيه هذه الكلمة من نقاء. ومنهم من يخاطب النخلة ويتغزّل بها كلّما سنحت له الفرصة؛ فتراه يكرّر ذكرها كالعاشق الذي يستذكر حبيبته في كلّ آن ليؤكّد ثبات جذوره في الأرض. ولا حاجة أن نشير إلى الشاعر الفلسطيني وهو يتّخذ الزيتونة موتيفاً كرمز لمقاومته ضدّ الاحتلال؛ أو إلى الشعراء الصعاليك الذين اتّخذوا الصبر والتجلّد موتيفاً في قصائدهم، أو إلى أبي نواس الذي كرّر الخمرة في قصائده إلى درجة الثمالة. وموتيف البحار استُخدم في دواوين شعراء كثيرين، منهم من وصف هدوءها وصفاءها وقت الشروق، ومنهم من وصفها بالهائجة التي تخيف الوارد إليها حين اضطرابها، وهناك من رآها طريقاً على المغامر أن يجازف في الانخراط فيه رغم خطورته ليحصل على ما لا يستطيع الآخرون المتريّثون أن ينالوه.

وشهاب الدين الحويزي استخدم البحار ومترادفاتها موتيفاً على طريقته الخاصّة وابتداعه المميّز، ورأينا من الضروري أن نشرح هذا الإبداع ليتعرّف القارئ إلى هذا الشاعر الذي يستحقّ أن يهتمّ بديوانه الباحثون ليكتبوا حول مواضيع كثيرة يستطيعون أن يجدوها في قصائده الرائعة. ومسألة البحار التي اخترناها لندرس موتيفها في مقالنا هذا، أبدع في استخدامها الشاعر؛ ومن الضروري أن نعرف في ديوان شاعرنا الذي سمّاه ابنه معتوق (طراز البلغاء وخاتمة الفصحاء)، أنّ البحار قد تكون الطريق الوحيد لطلب المعالي، فلا بدّ إذن من ركوبها رغم خطورتها والمجازفة في هذا السفر الذي سينتهي بنا إلى غايتنا المنشودة، وكيف جعلها تنقلب من حال إلى حال متضادّة، كما سنعرف كيف جعل الشاعر موتيف البحر رمزاً للتخلّص من فقره وذكر متعلّقات البحر، وهي تقتضي شرحاً. وقد أنشأ الشاعر علاقة بين تراثه الديني وموتيفه البحار، وغايتنا أن نشرح هذه العلاقة الوطيدة التي تبيّن مدى أنس الشاعر وتشبّثه بمعتقداته الدينيّة. ولنعرف كيف أنّ بعض الدرّ يطفو على سطح المياه وبعضه يرسب، وهي ليست مسأله فيزيائيّة طبعاً، وإنّما أدبيّة محضة. وفي جميع هذه النماذج التي سوف نأتي بها في دراستنا، يستخدم الشاعر التقنيّات الأدبيّة التي تدلّ على قدرته في اللغة والفصاحة

والبلاغة. وظهر لنا من خلال هذه الدراسة أنّ الرجل أجهد نفسه ليتعلّم العلوم البلاغيّة والقرآنيّة والتاريخ واللغة والحكمة، وكلّ هذه العلوم الأدبيّة والدينيّة والاجتماعيّة تتّضح جليّا للقارئ إن فتح الديوان وقرأ بعض القصائد منه.

تظهر ضرورة هذا البحث لدى قرّاء الأدب العربي وخاصّة المهتمّين بالأشعار في لزوم التعرّف على المراد من استخدام البحار تكراراً ومراراً عند شهاب الدين الحويزي. كما يهدف البحث إلى التعريف بالموتيف وبهذا الشاعر المرموق.

ومقالنا هذا سيجيب على الأسئلة المطروحة التالية:

١-ما معنى مفردة الموتيف في (موتيف البحر) التي جاءت في ديوان الحويزي؟

٢- كيف وظّف الشاعر البحر كموتيف في غزله وفي مدحه؟

خلفيّة البحث

كُتبت دراسات كثيرة حول الموتيف وحول ديوان شهاب الدين الحويزي، لكنّنا لم نجد من درس موتيف البحار في قصائده، ومن الدراسات التي وجدتها حول ديوانه:

١- رسالة (بررسي وتحليل ديوان ابن معتوق حويزي)، (دراسة وتحليل ديوان ابن معتوق الحويزي) للطالب قاسم محموديانى من جامعة تشمران الأهواز في مرحلة الماجستير سنة ١٣٨٨ش. (٢٠٠٩م.) وقد درس المدح والرثاء في ديوان ابن معتوق، ذكر محموديانى أبياتاً بصورة عشوائيّة وشرح المدح والرثاء وقدرة الشاعر في قصائده، لكنّه مرّ مرور الكرام على القصائد، فلم يتعمّق في شرح الأبيات التي جاء فيها المدح أو الرثاء. درس الديوان كلّه دراسة كليّة وأتى بنماذج من الديوان دون أن يشير إلى معنى كلمة واحدة من الأبيات.

٢-مقال موتيف الأشجار في شعر محمود درويش كتبه خليل برويني وكبرى روشنفكر وحامد بو رحشمتي، وقد نشرته مجلة الجمعيّة الإيرانيّة للغة العربيّة وآدابها في عددها ٤٣؛ سنة ١٣٩٦ش. (٢٠١٧م.)، درسوا فيه ثلاث شجرات: النخلة والزيتونة والبرتقالة كموتيف تكرّر في دواوين درويش وله دلالته ورموزه، هذه الموتيفات فيها إشارة إلى الانتماء للوطن وللدين. وقد قدّم الباحثون موتيف

النخلة على الزيتونة! بينما الزيتونة هي التي أصبحت رمزاً معروفاً وموتيفاً متكرّراً في أشعار الفلسطينيّين.

٣-مقال موتيف النخلة والزيتونة في شعر سميح القاسم، كتبه حامد بورحشمتي وكبرى روشنفكر، نشرته مجلة إضاءات نقديّة في عددها ٢٠ وقد تطرّقا إلى دور موتيف النخلة والزيتونة في شعر سميح القاسم، وأشارا إلى أنّ النخلة ترمز إلى الإنسان الفلسطيني، والزيتونة رمز لملكيّة الأرض، وقد قدّما النخلة على الزيتونة، بينما الزيتونة هي الرمز المعروف للفلسطينيّين.

٤-مقال موتيف النهر والبحر عند يحيى السماوي كتبه مرضيّة آباد ورسول بلّاوي، ونُشر في مجلّة العلوم الإنسانيّة الدوليّة عام ٢٠١٣ في عددها ٢٠، وقد درسا الموتيف ودلالاته النقديّة في الشعر، ومدى حضور البيئة النهريّة والبحريّة في شعر السماوي، وأثر هذه الموتيفات على المتلقّي، وهو مقال متكامل.

٥-مقال (التناصّ في شعر أبي معتوق الحويزي) كتبته مريم حاتم فيصل، ونهى حسين كندوح من جامعة القادسيّة كليّة التربيّة قسم اللغة العربيّة، وقد نشر عام ٢٠٢٠ في مجلة لارك للفلسفة واللسانيّات والعلوم الاجتماعيّة الفصل الرابع العدد ٣٩؛ ودرستا التناصّ القرآني، والتناصّ من المأثور، والتناصّ الشعري ، والتناصّ من النثر في ديوان الشاعر. وفي التناصّ من القرآن استلهم الشاعر المعاني القرآنيّة ليسقطها على ذاته، أو على الأشخاص الذين مدحهم، وكذلك فعل في تناصّه من المأثور والشعر والنثر.

٦-مقال (استدعاء شخصيّة أبي ذر في شعر يحيى السماوي) كتبه مرضيّة آباد ورسول بلّاوي، نُشر في مجلّة دراسات النقد والترجمة في اللغة العربيّة وآدابها، عام ٢٠١٢ في عددها الرابع، وقد درسا التراث واستدعائه في الشعر المعاصر وأهميّة هذا الاستدعاء ووظيفته، وأنّ أبطال السماوي رموز وقادة في التاريخ الإسلامي والعربي يستلهم منهم دروس التاريخ وعبره، وقوّة العقيدة واستمراريّتها وحيويّتها عبر القرون؛ ومن هؤلاء شخصيّة أبي ذر الغفّاري.

٧-مقال (قراءة في المكان /الحضارة في شعر شهاب الدين الحويزي) كتبه سعيد إسماعيل ونشر في مجلة النوابت العدد الخامس عام ٢٠٢١ في الأهواز. وقد أشار إلى المكان والحضارة في الشعر

العالمي، ثمّ في الشعر العربي مثل الأطلال ومكّة والطائف، وأنّ الشاعر الجديد اهتمّ بالمدينة والوطن والمواطنة الكونيّة؛ أمّا شهاب الدين فقد تطرّق إلى الحويزة والصلة بين الملك والمدينة، ثمّ يشير الكاتب إلى مخاوف الشاعر من الدمار الذي قد يحلّ بالحويزة.

٨-رسالة (بررسي مضامين ديني سروده هاي ابن معتوق)، (دراسة المضامين الدينيّة في أشعار ابن معتوق) للطالبة طاهرة رحيمي من جامعة قم سنة ١٣٩٤ش. (٢٠١٥م.) وقد درست المضامين الدينيّة في الديوان. ورسالة أخرى عنوانها (بررسي مضامين شعري ابن معتوق)، (دراسة المضامين الشعريّة لابن معتوق) للطالبة فاطمة حبيبي من جامعة فردوسي مشهد في مرحلة الماجستير سنة ١٣٩٠ ش. (٢٠١١م.) وقد تناولت حياته الأدبيّة وعنصري الخيال والعاطفة في أشعاره. ولم يأتِ ذكر للموتيف في هاتين الرسالتين.

٩-مقال (شعر البند العربي عند أبي معتوق الحويزي) كتبه عادل الحيدري من جامعة آزاد الإسلامية طهران، وقد نشر في مجلة الكليّة الإسلاميّة للجامعة العدد ٤٨ السنة ١٩٩٧. يقول الحيدري أنّ شعر البند الذي أوجده شهاب الدين الحويزي يشكّل باكورة الشعر الحرّ، ويذكر بحوراً للبند؛ بينما يذكر تاريخ الأدب العربي أنّ الشعر الحرّ بدأه بدر شاكر السيّاب بقصيدته (أنشودة المطر)، ونازك الملائكة بقصيدتها (الكوليرا).

١٠-مقالة (مدح اهل البيت از منظر ابن معتوق)، (مدح أهل البيت من وجهة نظر ابن معتوق) كتبها أبو الحسن امين مقدسي نشرت في نشريه دانشكده ادبيات وعلوم انسانى دانشگاه تهران، (مجلّة كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة جامعة طهران) في عددها ١٧٣ سنة ١٣٨٣ش. (٢٠٠٥م.) وقد تناول مدح آل البيت في الديوان. والحقيقة أنّ ابن معتوق لم يكن له سوى قصيدتين مدح بهما الرسول الأكرم، وقصيدة مدح بها الإمام عليّاً، وقصيدة رثى بها الإمام الحسين عليهم السلام، وقد كُتبت دراسات عدّة حول هذا الموضوع. شها ب الدين اشتُهر في مدحه لملوك الحويزة لا لأهل البيت.

وتتميّز دراستنا هذه في أنّنا لم نجد دراسة تطرّقت إلى موتيف البحر في ديوان شهاب الدين الحويزي.

منهج البحث:

منهجنا في هذا البحث سيكون وصفيّا تحليليّاً، فقد سعينا أن نذكر الأبيات التي تطرّق فيها الشاعر إلى البحار ونشرحها ونحلّلها تحليلاً وافياً، مشيرين إلى الغاية من ذكر الشاعر البحرَ.

الموتيف

الموتيف (Motif) لغة يعني الموضوع، والأصل، والشكل المعتمد[١]؛ ومن معانيه أيضا: فكرة أساسيّة، عنصر زخرفة متكرّر[٢]. واصطلاحا يعني فكرة أو موضوعاً يُعاد أكثر من مرّة؛ وفي الأدب «يعني الفكرة الرئيسة أو الموضوع الذي يتكرّر في العمل الأدبي، أو المفردة المتكرّرة، أو الحافز والباعث»[٣]. في الموتيف، المفردة لا تتكرّر اعتباطياً، بل «أن يكون اللفظ المكرّر وثيق الصلة بالمعنى العام للسياق الذي يرد فيه، وإلّا كان لفظة متكلّفة لا فائدة منها ولا سبيل إلى قبولها»[٤]. يقول سليمان العطّار عن الموتيف: «القطع المتكرّرة في المعمار والزخرفة ... تتكرّر كلمة الموتيفة في الاستعمال الأدبي بشكل غير عادي»[٥]. ثمّ يقترح كلمة "الحرّيك" لمقابلة الموتيف في العربيّة. إذن الموتيف في الأفلام، هو المشهد الذي يتكرّر لغاية ما؛ وفي الموسيقى، هو النوتة التي تتكرّر لتكون الأساس في الألحان، وفي علم الرياضيات هو شكل الدالّة f(x)=[x] والتي تسمّى باللغة الفارسيّة (تابع متناوب). وإن كان التكرار قد وقع في الاسم كما جاء في مقالنا هذا؛ «لا يمكن القول إنّ هذا التكرار يهدف إلى تعريف الاسم المكرّر»[٦]. ذلك أنّ البحر معروف بوصفه تجمع كبير للمياه، له صفاته التي يعرفها البحّار وغيره. ويظهر ممّا تقدّم أنّ الموتيف في الأدب، فكرة أو كلمة أو جملة تتكرّر غير مرّة لتجلب انتباه القارئ أو السامع. يتّضح أنّ الكاتب أو الشاعر يبتغي أن يوصل ما

---

[١]- عباس ومنوچهر، آريانپور كاشانى، **فرهنگ انگليسى به فارسى**.

[٢]- قواميس على الإنترنت، **قاموس إنجليزي - عربي**، ورد رفرنس.

[٣] -طه، المتوكّل، **حدائق إبراهيم**، ص ٢٠٨.

[٤] - فهد، ناصر عاشور، **التكرار في شعر محمود درويش**، ص ٦٠.

[٥]- دار الإعلام العربيّة، «**الموتيف في الأدب الشعبي والفردي**»، البيان.

[٦] - فهد، ناصر عاشور، **المصدر نفسه**، ص ٦٨.

في خلده إلى مخاطبيه عن طريق هذا التكرار المقصود، وقد يكون غير مقصود لكنّه ترسّخ في ذهنه وشغل باله ليدور حوله ينشد أبياته أو يسطّر كلمات نثره به. ولذا فهو يؤثّر في القارئ أو السامع تأثيراً ملحوظاً بسبب التكرار والتركيز على الفكرة أو المفردة أو الجملة، ويشدّه جاذباً إيّاه ليكتشف سرّ هذا التركيز والتكرار. تجدر الإشارة إلى أنّ كثرة التكرار للّفظ إن لم تكن وراءها غاية - كالغاية التي نحن في صدد دراستها في هذا المقال - قد تضرّ بفصاحة الكلام. ولنرَ كيف استخدم شهاب الدين موتيف البحر والبحار واليمّ في قصائده:

موتيف البحار عند الشعراء

لم يجاور الشعراء العرب البحار كثيراً، ولم يألفوا زرقتها الجميلة التي تسحر الأعين عندما تختلط بحمرة غروب الشمس؛ لكنّهم عرفوها بما يكفي من القرآن الكريم؛ قرأوا أنّ البحر طريق تسير فيه السفن، يقول الله في كتابه المجيد: ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالأَعْلامِ﴾.[١] وأنّه شاسع، حيث جعله الله مقابل البرّ: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾[٢]. وكريم فيه أنعم منها طعام ومنها زينة: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾[٣]. والبحار أكثر سعةً من اليابسة، ولهذا استخدمها الله للكثرة: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً﴾[٤].

وهناك شعراء سافروا عبر البحار ورأوا بأمّ أعينهم تلك السكينة المأثورة التي يتمنّى الإنسان أن لا يفارقها ساعة؛ والشواطئ التي يأمل أن يسكن في جوارها أمداً بعيداً. وهناك من قرأ دواوين شعراء عاشوا قبله فخطا على خطاهم، وأصبح يستخدم البحر في قصائده. يقول زهير بن أبي سلمى:

---

[١]- الرحمن: ٢٤

[٢] - الأنعام: ٥٩

[٣] - النحل: ١٤

[٤] - الكهف: ١٠٩

يَنزِعنَ إِمّةَ[١] أقوامٍ لِذي كَرَمٍ بَحرٍ يَفيضُ عَلى العَافينَ إِذْ عَدِمُوا[٢]

ويقول أبو الطيّب المتنبّي:

وَبَحرُ أَبِي المِسكِ الخِضَمُّ الّذي لَهُ عَلى كُلِّ بَحرٍ زَخرَةٌ وَعُبابُ[٣]

ويقول الشريف الرضي:

تَغَامَسَ فِي بَحرِ الحَديدِ وَخَلفَهُ لِمَاءِ المَنايَا زَخرةٌ وَعُبابُ[٤]

وهل يعقل أنّ شاعراً مثل شهاب الدين[٥] الحويزي لم يقرأ ديوان أبي سلمى، أو ديوان المتنبّي، أو ديوان الشريف الرضي الذي تأثّر منه تأثيراً بالغاً بسبب المعتقد الديني المشترك؟! ونكاد نجزم وهذا ما وجدناه في ديوانه أنّه قرأها حتّى حفظها عن ظهر قلبه؛ ولذا سنجد أبياتاً غير قليلة تطرّق فيها

---

[١] محمد بن مكرّم، الأنصاري (ابن منظور)، **لسان العرب**. حرف الألف، إمّة: نعمة، مادّة أ م م، ص ٣٨٧

[٢]- زهير، ابن أبي سلمى، **ديوان زهير بن أبي سلمى**، ص ١١٧.

[٣]- أبو الطيّب، المتنبّي، **ديوان المتنبّي**، ص ٤٧٩.

[٤]- الشريف، الرضي، **ديوان الشريف الرضي**، ص ٢٢٦.

[٥] الشاعر في سطور: اسم شاعرنا شهاب الدين الحويزي أبو معتوق، وقيل ابن معتوق، فقد عُرف بابن معتوق، ولم يكن اسم أبيه أو أحد من أجداده معتوقاً، كان اسم ابنه الأكبر معتوقاً؛ فهو على الأرجح أبو معتوق وليس ابن معتوق. وشهاب الدين الحويزي هو شاعر الملوك المشعشعيّين في القرن الحادي عشر الهجري. وُلد شهاب الدين سنة ١٠٢٥هـ.ق. / ١٦١٦م. وتوفّي سنة ١٠٨٧هـ.ق. / ١٦٧٦م. بعد أن بلغ الثانية والستّين من عمره. وأكثر قصائده جاءت في المدح، حيث خصّص منها ما يقارب الستّين بالمئة لملك الحويزة السيّد علي بن خلف المشعشعيّ. جمع ديوانه ابنه معتوق بأمر من الملك السيّد علي المذكور آنفاً والذي حظي بحصّة الأسد من قصائد المدح في ديوانه كما أشرنا. طُبع ديوان شهاب الدين قبل قرن مرّتين، مرّة في مصر على يد مصطفى البابي الحلبي وأخويه، ومرّة في لبنان على يد اللغوي المعروف سعيد الشرتوني. وقد أشاد بقصائد شهاب الدين كثير من الأدباء والمؤرّخين، وأنّه كان شاعراً مقتدراً جمع بين البلاغة والوصف والبديع. يبدأ شاعرنا قصائده بالغزل، ثمّ يتابعها بالمدح، إلى أن يختمها بالدعاء إلى الشخص الممدوح، وقد مدح الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله وسلّم، ومدح عليّاً عليه السلام، ومعظم قصائده كما أشرت سالفاً كانت في مدح الملوك والوزراء، وخاصّة الملوك المشعشعيّين الذين كانوا يحكمون في الحويزة وأرجائها؛ ولهذا اشتُهر بشاعر المشعشعيّين. (المصدر: عارف، عبد الله نصر، **أبو معتوق الحويزي شاعر الدولة المشعشعيّة**، صص ١٧و١٩و٢٣) .

شاعرنا إلى البحر والبحور، وهذا ما جعلنا ندرس موتيفها في ديوانه. يظهر من أشعار شهاب الدين أنّه قرأ القرآن ودواوين الشعراء الذين سبقوه قراءة عميقة، وتأثّر بها وتعلّم الكثير من العلوم البلاغيّة، والتأريخ، واللغة، والحكمة، ليصبح شاعراً من الطراز الأوّل في القرن الحادي عشر.

موتيف البحر في مدح ملوك الحويزة

اشتُهر شهاب الدين الحويزي في مدح ملوك الحويزة، حيث خصّص لهم ٨٥ في المئة من قصائده المدحيّة التي جاءت في الفصل الأوّل من ديوانه، وكان على رأس أولئك، الملك السيّد علي المشعشعيّ. ولا شكّ أنّ الفاقة هي التي اضطرّت الشاعر ليبالغ في مدح الملوك إلى هذا الحدّ، وقد شكّل هذا النوع من الشعر ٩٣ بالمئة من ديوانه. استهلّ شهاب الدين معظم قصائده بالغزل كما فعل الشعراء القدامى، إلّا أنّ هذا الاستهلال لا يشفع لديوانه كي لا يُعدّ من دواوين المدح. وفيما يلي ندرس جانباً من المدح الذي استخدم فيه البحر موتيفاً. اخترنا لكلّ نموذج عنواناً استخرجناه من البيت أو الأبيات التي تطرّقنا إليها في دراستنا، والتي جاء فيها ذكر البحر أو البحار.

استدعاء درّ البحر

قال شهاب الدين يمدح ملك الحويزة السيّد علي المشعشعيّ:

بَحرٌ إِذَا سُئِلَ النَّوالَ[١] فَدُرُّهُ يَطفُو وَدُرُّ البَحرِ فيهِ يَرسُبُ[٢]

يصف الشاعرُ الملكَ بالبحر الذي إذا سأله سائل، يتفضّل عليه بأغلى ما يملكه وهو الدرّ؛ في تناصّ من الآية القرآنيّة التي تدعو المؤمنين بالإنفاق من أطيب ما لديهم، حيث يقول الله سبحانه: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنْ الأَرْضِ وَلا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ

[١]- محمد بن مكرّم، الأنصاري (ابن منظور)، **لسان العرب**. حرف النون، النوال: العطاء، مادّة ن و ل، ص ٦٨٠

[٢]- شهاب الدين، الموسوي، **ديوان طراز البلغاء وخاتمة الفصحاء المعروف بابن معتوق**، ص ٦٨.

تُنفِقُونَ﴾[١] وكرم الملك لا يضاهيه كرم رجل آخر، هو كالبحر في العطاء، وكحاتم الطائي في البذل على السائل، ولا يكتفي بإعطاء القليل، ولا يُكرم بالرديء.

وكنّا ننتظر في ختام المصراع الأوّل أن يشبّه الشاعرُ كرم الملك بالبحر، البحر الذي اشتُهر بأنّه رمز للكرم والجود، فإذا به يفاجئنا فيجعل البحر أقلّ كرماً من الملك! استطاع الشاعر دون اللجوء إلى الطباق أن يرمز بالبحر الأوّل إلى البذل والسخاء، وبالبحر الثاني إلى البخل والإمساك. وجاء الطباق هنا بين (يطفو ويرسب)، ليبيّن الاختلاف بين درّ الملك ودرّ البحر، فدرّ الملك يطفو ليعرض نفسه أمام الذين يحتاجونه؛ أمّا درّ البحر فيرسب ويختبئ خوفاً من أن يستغني به أحد. وفي درّ الملك الطافي أمام المعوز إشارة إلى كرمه الذي لم يمنعه عن أحد، فالشاعر في هذا البيت استخدم الدرّ كناية عن العطاء والجود. وكُتبُ التاريخ تشهد أنّ الملك لم يكن يكرم الشعراء الذين يمدحونه فحسب، بل كان يجود بكرمه على الفقراء والمنكوبين إثر الحروب أيضا. وهناك موقف إنساني ذكره عالم ديني عاصره، حيث هبّ الملك لدعم النازحين من حرب اشتعلت بين العثمانين وآل أفراسياب.[٢]

وقد يستخدم مفردة البحر أكثر من مرّة في قصيدة واحدة، فيبالغ بها في مدح الملك السيّد علي الذي مدحه في ثلاثين قصيدة مطوّلة. تكرّرت لفظة البحر في هذا البيت مرّتين، فالبحر الأوّل موتيفه يرمز للكرم، والبحر الثاني رمز للإمساك. وموتيف البحار الكريمة غير غريب على الشاعر الذي عانى أشدّ المعاناة[٣] من الفقر والحرمان؛ فمن الطبيعي أن يتّخذه رمزا للعطاء ليجعل الملك يجود عليه. ولا حاجة أن يغور الباحث في قصائد شهاب الدين باحثاً عن الموتيفات، يكفي أن يقرأ قليلا من القصائد ليجدها -ومنها موتيف البحر- طافية على سطح قصائده، فهي تجذب انتباه القارئ من دون أي عناء منه بكثرة تكرارها، وتأكيدها على المواضيع التي كانت تشغل بال الشاعر.

---

[١]- البقرة: ٢٦٧

[٢]- سيد نعمة الله، الموسوى الجزائري، **الأنوار النعمانيّة**، ص ٣١٩.

[٣]- شهاب الدين، الموسوي، **ديوان طراز البلغاء وخاتمة الفصحاء المعروف بابن معتوق**، ص ٤.

استدعاء متعلّقات البحر كالموج واللجّ...

جاءت الأبيات التالية غير متوالية، وفي صفحات مختلفة من القصيدة التي مدح بها الملك السيّد علي:

رَكِبتُ بِهِ مَوجَ المَطَايَا وخُضتُ فِي ... بِحارِ المَنايَا طالباً دُرَّةَ الخِدرِ[٢]
أَيَا وَارِدِي لُجَّ[١] البِحارِ اكتَفُوا بِهِ ... فَسَبعتُهَا فِي طَيِّ أَنمُلِهِ العَشرِ
أَخُو هِمَمٍ يَستغرِقُ الدِّرعُ جِسمَهُ ... ومِن عَجَبٍ أَن يَغرَقَ البَحرُ بِالكَرِّ[٣]
وَأَضحَت وُحوشُ البَرِّ مِمَّا أَرَاقَهُ ... مِن الدَّمِ كَالحيتَانِ فِي لُجَّةِ البَحرِ[٤]

لقد استخدم الشاعر موتيف البحار في أربعة أبيات من قصيدة واحدة، وهذا الإصرار في تكراره، يعني أنّ لهذه الكلمة – جمعاً جاءت أم مفرداً- شأنها ومكانتها في مخيّلته؛ إذ «إنّ تكرار فكرة أو صورة أو رمز ما لتكوين الموتيف، يعني أهميّة تلك الفكرة والصورة والرمز عند الشاعر، حيث تضجّ وترغي في رأسه حتّى تملأ عليه نفسه[٥]». وقد وظّف الحويزي هذا الموتيف بعد أن ضجّ في رأسه وملأ نفسه ليفرغ من خلاله ما لديه من أفكار تارة في النسيب وتارة أخرى في المدح. وقد جاء البيت الأوّل في النسيب، وفي غزله يُشبع الحبيبة بالإطراء والوصف الجميل، وأنّ محاسنها ترويها النجوم عن الفجر، ويذكر خالها، وزهور خدّيها، وسيوف جفنها، ونبال هدبها؛ ثمّ يصف نفسه ودموعه ولوعة قلبه التي لو كانت في حشا المزن لمطرت جمراً؛ ويتكلّم عن ليل هجرانها، والذي يعود الضمير في (ركبت به موج المطايا) إليه. فقد ركب موج المطايا غير مبال بالأخطار التي سوف تتعرّض إليه مجازفاً لوصال الحبيبة التي يصفها بالدرّة المكنونة في الستر، وهذه الدرّة لا يجدها إلّا البطل الذي يواجه المنايا، ولا يخشى ممّا يوجد في أعماق البحر من أخطار.

---

[١] – محمد بن مكرّم، الأنصاري (ابن منظور)، **لسان العرب**. حرف اللام، اللجّ: معظم الماء، مادّة ل ج ج، ص ٥٧

[٢] – **المصدر نفسه**، حرف الخاء، الخدر: الستر، مادّة خ د ر، ص ١٣٣

[٣] **المصدر نفسه**، حرف الكاف، الكرّ: من أسماء الآبار، مادّة ك ر ر، ص ١٥٩

[٤]– شهاب الدين، الموسوي، **ديوان طراز البلغاء وخاتمة الفصحاء المعروف بابن معتوق**،، صص ٥١ و٥٢ و٥٣.

[٥]– رسول، بلاوي، وآخرون، **موتيف استدعاء الشخصيّات التراثيّة في شعر يحيى السماوي**، ص ٥٢.

والبيت الثاني جاء في مدح الملك، وفيه تعريض لكرمه وجوده؛ وأن لا حاجة أن يذهب المحتاج إلى غيره، لا حاجة أن يتحمّل المتاعب ويواجه الأخطار، وليس من اللزوم أن يرد لجّ البحر باحثاً عن الدرر، فالبحار السبع في طيّ أنمله العشر، ولكن كيف يدا الملك تتسلّطان على البحار السبع؟! هذا ما لا تستطيع عقولنا إدراكه في عالمنا الطبيعي، ولكن في الواقع الشعري يصبح أمراً ممكناً. وما قصّة البحار السبع التي ذكرها الشاعر في هذا البيت، والتي يُضرب المثل بها للكثرة؟ لا توجد في العالم بحار سبعة فقط، هناك المزيد من البحار على كرة الأرض، ولكنّ السبعة جاءت ربّما من السماوات السبع التي ذكرها الله جلّ جلاله في القرآن، ولذا أصبحت رمزاً للكثرة والغزارة. وقيل «إنّ رقم سبعة من الأرقام التي لها دلالة في بعض الأشياء، فهو رقم الكمال والتمام للكثير من الأشياء؛ لذلك نجد أنّ السماوات سبعة، طبقات الأرض سبعة، ألوان قوس قزح سبعة، وأيّام الأسبوع سبعة، فالرقم سبعة موجود ومتكرّر في كثير من الأشياء التي تعبّر عن الطبيعة[١]».

ويستمرّ الشاعر في البيت الثالث بمدح الملك، وجاء تعبير (أخو همم) على غرار (أخو سفر)، ليبالغ في همّة الملك الملازمة له دائماً، فالهمّة في قضاء الأمور لا تفارقه، هو ملك ذو همّة في تحكيم العدل، وفي العطاء، وفي البأس. وجاء ذكر الدرع الذي لا يُلبس إلّا في الحرب، ليبيّن أنّ بلاد المَلك تعرّضت إلى الاعتداء، وأنّه لبس درعه وتسلّح ليدفع شرّ من أرادوا به وببلاده سوءاً، وكان في مواجهتهم شجاعاً مقداماً يتقدّم جيوشه ليهبهم من الهمّة التي وصفه بها الشاعر. ومفردة البحر جاءت في هذا البيت لتعبّر عن عظمة المَلك في جميع الصفات التي ذكرها الشاعر آنفاً، فهذا المَلك العظيم كيف يستوعبه فضاء ضيّق كالدرع؟! وهل من الممكن أن يستوعب البئرُ البحرَ بوسعته؟! هذا ما يثير العجب!

ثمّ يستعرض الشاعر مشهداً من الحرب التي خاضها الملك ضدّ أعدائه، وجاء البحر في البيت الأخير ليبالغ الشاعر به في كثرة المقتولين من الجبهة المعادية، وشبّههم بالحيتان في قعر البحر لكثرتهم.

---

[١] ليلى، جبريل، **البحار السبعة وأسماؤها**، مقال.

هذا الإصرار في تكرار موتيف البحر والبحار في أربعة أبيات من قصيدة واحدة، يلفت انتباه المتلقّي ليتساءل عن علاقة الشاعر الوطيدة بالبحار، حتّى لو أنّه لم يرَها عن كثب. فموتيف البحر في هذه الأبيات يظهر للقارئ من حيث يدري أو لا يدري وهو يرى الشاعرَ يسهب في تكرارها. ولا نستبعد أنّ الشاعر كان يتعمّد هذا التكرار ويعتبره مبتكرا في قصائده، علماً بأنّ الشعراء القدامى «عدّوا التكرار في بعض صوره لوناً من ألوان التجديد في الشعر.[١]»

البحر وصفات الملك

قال يمدح الملك منصور بن عبد المطّلب:

لا يُدرِكُ الأمَلَ الأسنَى سِوَى رَجُلٍ يَشُقُّ بَحرَ الرَّدى عَن جَوهرِ الأمَلِ

ثمّ وفي نفس القصيدة جاء ببيتين متواليين:

يَا مَن يُشبّهُ بِالأَمطارِ نائِلُهُ أقصِرْ فَمَا لُجَجُ الأبحارِ كَالوَشلِ
اُنظُرْ إِليهِ تَرى لَيثا وَشَمسَ عُلاً وَبَحرَ جودٍ بَرَاهَا اللهُ في رَجُلِ[٢]

الملك منصور كان أحد ملوك الحويزة، تولّى الحكم في عام ١٠٤٤ هـ بعد أن ثار ضدّ ابن أخيه وأزاحه عن السلطة. بنى قلعة المحسنيّة وشكّل فيها جيشا، وأصبحت المحسنيّة مدينة عامرة فيها الجامع والحمّام والأسواق. مدحه شهاب الدين في ثلاث قصائد مطوّلة.[٣] جاء ذكر البحر ثلاث مرّات في هذه القصيدة، ما يعني أنّ موتيف البحر محسوس جدّا فيها، والذي نستطيع بسهولة فهم دلالاته الرمزيّة. هذا التكرار المكثّف للبحار في أبيات الشاعر يدلّ على حضورها في وجدانه، لا شكّ أنّه كان يتصوّر أبّهتها وزرقة مياهها وجمال شواطئها وهو يقرأها في دواوين الشعراء، «وأدب

[١] – نازك الملائكة، **قضايا الشعر المعاصر**، ص ٢٣٠.
[٢] – شهاب الدين، الموسوي، **ديوان طراز البلغاء وخاتمة الفصحاء المعروف بابن معتوق**، ص ٢٤.
[٣] – جاسم حسن، شبر، **تاريخ المشعشعيّين وتراجم أعلامهم**، ص ١٢٢.

البحر العربي يتميّز بالثراء والتنوّع في المادّة الأدبيّة بشكل لا نكاد نجده في أدب أي شعب آخر.[١]» أو كان يسمع وصف رهبتها من الرحّالة الذين زاروا الحويزة آنذاك. هذا الحضور الدائم للبحار في وجدان الشاعر جعلها موتيفاً يبرزه تكراراً في أشعاره؛ والتكرار «يستطيع أن يغني المعنى ويرفعه إلى مرتبة الإصالة، ذلك إن استطاع الشاعر أن يسيطر عليه سيطرة كاملة، ويستخدمه في موضعه.[٢]» وهكذا فعل شهاب الدين حتّى استطاع أن يؤثّر على قرّائه، وعلى الباحثين واللغويّين ليهتمّوا بديوانه ويتناولوه بين الضبط والطبع والدراسة.

وفي البيت الأوّل معنى جميل، وتقوية للعزم وإثارة للهمّة. وهو تناصّ من الشاعر الشافعي، حيث قال:

بِقَدرِ الكَدّ تُكتَسبُ المَعالي وَمَن طَلبَ العُلى سَهرَ اللَيَالي[٣]

ولكن ما هذا الأمل الذي يصفه الشاعر بالسناء تارةً، وبالجوهر تارةً أخرى، وأنّه يستحقّ أن يشقّ المرءُ البحرَ ذا المخاطر والهلاك للحصول عليه؟! لا شكّ أنّه الأمل الذي لو لم يكن، لما كانت الحياة جديرةً أن تُحيا.

في البيت الثاني جاء بمدح جميل للملك وهو يصف كرمه وعطاءه بالأمطار، والأمطار جاءت جمعا ليشمل عطاؤها جميع البلاد، وليعمّ الخير في كلّ الأرجاء. ثمّ يصف كرمه بالبحار التي جاءت جمعا هي الثانية؛ وهل نستطيع أن نقيس البحار العظيمة بالماء القليل الوشل؟! هكذا هو نوال الملك بالنسبة إلى عطاء الآخرين.

وقد استخدم الشاعر فعل (برى) في البيت الثالث لصفات الملك التي أودعها الله فيه، هذا الفعل يدلّ على عناية خاصّة في الصنع، فهو ليس ليثاً كالليوث الأخرى في شجاعته؛ كلّا، لقد أحسن الله

---

[١]- أحمد محمّد، عطيّة، **أدب البحر**، ص ٨.

[٢] - نازك الملائكة، **قضايا الشعر المعاصر**، ص ٢٣١.

[٣]- محمد، الشافعي، **ديوان الشافعي**، ص ١٠٨.

في خلق هذه الصفة للملك، كأنّه أعطى الليوث هذه الصفة الحميدة، ثمّ فضّل الملك بشجاعة خاصّة براها له برياً.

أمّا في رفعة الشرف، فهو عالٍ بعلوّ الشمس، وفي الجود والكرم فهو بحر. وجاء البحر في البيت الأخير ليدلّ على سخاء الملك الذي لا يقاس بسخاء وإحسان رجل آخر. ويتكرّر موتيف البحر، ليصبح عنصراً فعّالاً في قصائد الشاعر. ويتكرّر الكرم ليكون موتيفاً آخر هو الثاني، هذان الموتيفان بينهما علاقة وطيدة؛ أينما جاء ذكر البحر، يستحضر الكرم نفسه؛ وإن جاء طارئ الكرم، جاء التشبيه بالبحر يتبعه.

بحر من النضار

قال يمدح الملك السيّد بركة المشعشعيّ:

بَحرٌ تَدفَّقَ بِالنُّضَارِ فَأغرَقَ الـ سَبعَ البِحارَ بِلُجِّ زَاخرِ مَدِّهِ[١]

السيّد بركة هو ابن الملك منصور، تولّى الحكم بعد أبيه عام ١٠٥٣ هـ، وكان أديباً يحبّ الأدب والشعر، يقصده الأدباء فيبالغ في إكرامهم، ولم يعدل مع القبائل بعد تولّيه الحكم، فسقطت حكومته بعد ستّ سنوات[٢]. مدحه شهاب الدين بثمان قصائد؛ يقول عمر موسى: «لكن إرضاء الممدوح لا بدّ منه لأنّه طريقة إلى الرزق والحياة.[٣]» وهذا الموقف لهذه الغاية لا يجعل الشاعر في مكانة محمودة. يشبّه الشاعر الملكَ السيّد بركة بالبحر الذي يتدفّق ويجري في قوّة، لكنّه لم يجرِ بالمياه السائلة التي نعرفها كالبحار الأخرى؛ بل يسيل بالنضار. وقد فاض هذا البحر من شدّة مدّه فغطّى البحار السبع التي قد تكلّمنا عنها آنفاً، وأغرقها! وهذا مدح بلغ حدّه في الوصف، لا نستطيع أن نتصوّر هذا المدح الجميل إلّا في الأفلام الأنميشن التي ينقلب فيها ماء البحر إلى ذهب نضار، ثمّ

[١]- شهاب الدين، الموسوي، **ديوان طراز البلغاء وخاتمة الفصحاء المعروف بابن معتوق**، ص ٣٢.

[٢]- جاسم حسن، شبر، **تاريخ المشعشعيّين وتراجم أعلامهم**، ص ١٢٩.

[٣]- عمر موسى، باشا، **تاريخ الأدب العربي العصر العثماني**، ص ٣٩٩.

يفيض هذا الذهب ليغرق البحار الأخرى بذهبه ليصبح المشهد خلّاباً يذكّر الإنسان بالجنان التي جاء ذكرها في قرآننا الكريم.

عندما يستخدم الشاعر موتيف البحار، يتجاوز شعره الحدود الجغرافيّة، فهذه البحار قد تكون بحاراً في مشارق الأرض، أو في مغاربها. ولم يذكر اسم الملك أيضاً، لتتجاوز الأبيات الأسرة الحاكمة كلّها.

«يساعدنا الموتيف في فهم أسلوب الشاعر ، مثلما يشير إلى القضايا / الأفكار التي كانت تتفاعل في ذهنه، وإذا وجد عند شاعر من الشعراء إنّما يوضّح تلك العلاقة الحميمة والتلاحم الكبير بين هذه الصور والمعاني وبين الواقع النفسي للشاعر ولتوجّهاته وآرائه[١]». ولولا هذا الموتيف والموتيفات الأخرى التي نستطيع أن نجدها في ديوان شهاب الدين، لكان الجمود هو الذي يتحكّم في قصائده، القصائد التي جاءت عموديّة، علما أنّ البعض يعتقد «إنّ نشوء الموسيقى الشعريّة من تكرار تفعيلة بعينها في قصيدة طويلة، أوقع نماذج هذا الشعر في رتوب مملّ وتشابه نغمي جعله أقرب إلى وقع أرجل الخيل وهي تجرّ العربات.[٢]»، وهذا يعني أنّ القصيدة الطويلة كقصائد شهاب الدين التي بلغ بعضها المئة بيت، يجب أن تتّصف بالمحسنات اللفظيّة، وبالبلاغة، وبالموتيفات المختلفة، هذا إذا ما أراد الشاعر أن تكون قصائده متدفّقة، مسليّة، وذات حيويّة.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

بحر من متضادّين

وقال يمدح الملك السيّد حيدر المشعشعيّ:

بَحرٌ بِيومِ السّلمِ يَعذُبُ وِردُهُ وَيعودُ يَومَ الحربِ نَاراً تَسفَعُ[٣]

حكم السيّد حيدر الحويزة عام ١٠٨٩ هـ بعد وفاة أبيه الملك السيّد علي، وخالفه أخوه، وحصلت حروب داخليّة بين الإخوة أدّت إلى الخراب وضعفِ الإمارة، ثمّ توفّي السيّد حيدر سنة

[١]- رسول، بلاوي، مرضيّة، آباد، **موتيف النهر والبحر عند يحيى السماوي**، ص ٢.

[٢] مصطفى، جمال الدين، **ديوان مصطفى جمال الدين**، ص ٥٨

[٣]- شهاب الدين، الموسوي، **ديوان طراز البلغاء وخاتمة الفصحاء المعروف بابن معتوق**، ص ١٠٣.

١٠٩٢هـ[١]وقد مدحه شاعرنا بقصيدتين، جاء هذا البيت في إحداهما. وموتيف البحر يرمز في المصراع الأوّل إلى العطاء المعهود للبحار، المعنى الإيجابي الذي يجعل البحر يجود بسخائه الغزير للمقبلين عليه، الوالجين فيه، الراكبين أمواجه. ولكنّ هذا البحر الكريم الهادئ، ستتلاطم أمواجه وينقلب إلى جحيم إذا ما الحرب اشتعلت، سيضرب أعداءه من غير رحمة، يحرقهم بلهيبه الذي لا يرأف على من دنا ليمسّ مملكته. في المصراع الثاني يتقابل الموتيف مع نفسه ليمسي رمزاً للسلب والحرق، وفيه تناصّ من الآية ﴿وَإِذَا البِحَارُ سُجّرَت[٢]﴾. فالملك إن أعطى، لا يعطي القليل؛ لأنّه البحر، وإن غضب، لا يستطيع الأعداء أن يحتووا غضبه، يمسي غضباً عارماً كالبحر المسجَّر الذي يحرق الأعداء حرقاً.

بعض الرموز قد لا تظهر في الأشعار أكثر من مرّة أو مرّتين، كرمز البحر في الشطر الثاني من هذا البيت الذي رمزَ للدمار، وهذا هو الفرق بين الرمز والموتيف؛ الرمز لا يحتاج إلى تكرار ليصبح رمزاً، ولكنّ الفكرة أو الموضوع لا يُعدّ موتيفاً إن لم يظهر تكراراً ومراراً.[٣]

ومعظم قصائد شهاب الدين التي جاءت في المدح، بدأها بالغزل؛ ثمّ وبعد أن أشبع الحبيبة من الإطراء والنسيب، وبعد أن أفرغ ما كان في قلبه من ألم الهجران والاشتياق، راغ إلى مدح ممدوحه، ويتمّ هذا الانتقال من التشبيب إلى المدح بطريقة ماهرة جدّاً، حيث لا ينتبه القارئ إليه، وكأنّه جالس في قطار دون أن يحسّ أنّه غيّر مسيره وانتقل من سكّة إلى أخرى؛ وهذا يعني أنّ الشاعر بارع في تمشية قصائده.

وقد استخدم الشاعر الطباق في هذا البيت بين (البحر والنار)، ليدلّ على أنّ تصرفات الملك وقت السِلم والحرب تختلف اختلافاً فاحشاً، فهو وقت السلم ملك رحيم عطوف متهلّل؛ لكنه إذا ما اشتعلت الحرب ينقلب إلى ملك قاسٍ عنيف يهابه الأعداء ويهربون أمامه وكأنّهم يفرّون من نار

---

[١]- جاسم حسن، شبر، **تاريخ المشعشعيّين وتراجم أعلامهم**، ص ١٥٢.

[٢]- التكوير: ٦

[٣] - ميلاد، حيدري، **موتيف چيست؟**، هنر فردي.

تكاد تسفع أجسادهم. وجاء طباق آخر في نفس البيت بين (السلم والحرب)، وهو طباق حقيقي وإيجابي بين اسمين ليجعل البحر ذا المياه العذبة للسلم؛ والنار ذات اللهب والحريق للحرب.

استدعاء بحرٍ شعري

قال وهو يتغزّل بحبيبته:

أَرَدتُ بِهَا التّشبيبَ فِي وَزنِ شَعرِهَا فَغَزَلتُ فِي البَحرِ الطويلِ مِن الشِّعرِ[١]

وهنا أراد أن يتشبّب بالحبيبة التي لم يذكر اسمها في ديوانه الذي يبلغ مئتي وتسع وثلاثين صفحة، قطّ. ولا ندري أكانت تلك الحبيبة واحدة لا تزاحمها ضرّة في ديوانه، أم كانت للرجل حبيبات عدّة يتعمّد أن يُخفي أسماءهنّ حفظاً لمكانته الاجتماعيّة والاعتقاديّة والأدبيّة. فشهاب الدين كان يحضر مجلس الملك السيّد علي، وهو ممدوحه الأوّل في ديوانه، والسيّد علي رجل دين له تفسير في القرآن ومؤلّفات اعتقاديّة أخرى؛ إذن لا نستبعد أنّ شاعرنا كان يخشى على مكانته أن تُخدش عند الملك الذي أكرمه وأغدق عليه بالعطايا.

نعم، أراد الشاعر أن يتغزّل في وزن شَعر الحبيبة المجهولة، فإذا به يتّخذ وزن البحر الطويل من بحور الشعر لغرضه. وجاء ذكر البحر في هذا البيت مختلفاً معنىً عمّا سبقه، حيث كان البحر يأتي في الأبيات السابقة متقارناً بالبحور السبع؛ أمّا هنا فهو ينتمي إلى البحور الستّة عشر التي ينشد الشعراء قصائدهم فيها.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

البحار وطلب المعالي

قال في قصيدة مدح بها الملك السيّد علي، وقد بلغت القصيدة أربعة وتسعين بيتاً من بحر الوافر:

وَمَن يَسعَى إِلى طَلبِ المَعَالِي فَلا عَجَبٌ إِذَا رَكِبَ البِحَارا[٢]

وهذا البيت يستحقّ أن يكون في عداد الأبيات التي شاعت في الحكمة والأمثال؛ وفيه تناصّ من بيت الشافعي الذي أشرنا إليه آنفا في مقالنا هذا. وكيف يطلب المرء العلا وهو لا يجازف لطلبها؟!

---

[١]- شهاب الدين، الموسوي، **ديوان طراز البلغاء وخاتمة الفصحاء المعروف بابن معتوق**، ص ١٣٢.

[٢]- **المصدر نفسه**، ص ١٧٧.

الذي يطلب العزّ والمعالي، ويريد أن يعيش في إباء وكبرياء، لا يجلس في بيته خائفاً من الأخطار التي تحفّ طريق النجاح والعلوّ؛ فمثل هذا ليس عجيباً إذا ما وجدته يركب الأمواج الهائجة في جرأة الرجال ذوي الهمم والطموح سائراً نحو قمّة النجاح. والملك السيّد علي لم يفز بالسلطة عن طريق الوراثة، لم ينل المعالي بسهولة ويسر، أبوه نُفي من الحويزة إلى الخلفيّة بعد أن كان قائداً في الجيش. هو أيضا تمّ نفيه إلى إصفهان وكاشان وقزوين[١]، وعاش حياة الغربة التي كان يشكو منها طوال مكوثه هناك، وديوانه مملوء بشكاويه من ألم البعد والفراق، ومن أبياته التي تظهر اشتياقه لبلاده التي يسمّيها بلاد الكرختين، وجاءت في ديوانه (خير أنيس لخير جليس):

يَحِنُّ إِلى أرضِ الحويزةِ نازحٌ يُؤَمِّلُ مِن دُنياه أوبةَ غَائبِ
إِذَا مَا ذَكرتُ الكَرختينِ وَأَهلَها عَرَفتُ هَوانَا مِن صَهيلِ السَّلاهبِ
دِيَارٌ بِهَا حَلَّ الشَّبابُ تَمائِمي وَأَرضٌ بِهَا جَرُّ الفَخارِ ذَوائبي
مَحلُّ هَوَى قَلبي وَنَجحُ مَطالِبِي وَمَجمَعُ أَصحَابِي وَمَغنَى حَبائبي[٢]

ثمّ اعتلى عرش الحويزة بعزمه ونضاله ضدّ أعدائه، وبقي فيها ملكاً مدّة ثلاثة عقود إلّا قليلاً إلى أن توفّاه الله.[٣]

وجاء ذكر البحار في بيت شهاب الدين رمزاً للأخطار التي لا بدّ أن يغامر المرء في الدخول إلى لججها، وذلك إذا ما أراد أن ينال دررها التي ترمز إلى الفوز بما طلبه الملك. ويرمز موتيف البحر هنا إلى مركبة لا يبدو امتطاؤها سهلًا، لكنّها ستعلو بك إلى تحقيق أمانيك؛ فالرحلة مجازفة ومجهولة ومحفوفة بالمخاطر، لكنّ نهايتها سعيدة. واختار الشاعر طريق البحر وليس سواه، ذلك لأنّ البحر «هو المضياف الفاتح صفحاته لكلّ مغامر وطالب حياة جديدة حافلة بالمغامرات والأسرار»[٤].

---

[١]- عبدالرحمن كريم، اللامي، **شاعر الأهواز القومي**، ص ٤٦.
[٢]- **المصدر نفسه**، ص ٧٩.
[٣]- **المصدر نفسه**، ص ٥٤.
[٤]- أحمد محمّد، عطيّة، **أدب البحر**، ص ١٨٢.

البحر البخيل!

قال يمدح الملك السيّد علي:

لَو كَانَ لِلبَحرِ الخِضَمِّ سَمَاحُهُ لَم يَخزُنِ الدُرَّ اليَتيمَ بِقَعرِهِ[١]

من صفات الموتيف أنّه يشغل ذهن الشاعر، ويظلّ الشاعر يكرّره مستخدماً إيّاه لغايات عدّة منها:«دنيا جديدة، وكشف جديد، وخلاص من الرتابة، وانعتاق من القيود الأرضيّة، وخروج إلى آفاق البحر الرحبة الممتدّة بلا نهاية[٢]».

لمفردة السماح معانٍ عدّة، لكنّها جاءت هنا بمعنى السخاء والكرم؛ والبحر الخضمّ هو البحر الوسيع والعميق.

وعادة ما نَصِفُ الشخص الكريم بالبحر بما فيه من دُرر ونِعم أخرى، فالبحر اشتُهر في النصوص العربيّة وغير العربيّة بالكرم والجود؛ ولكن أن يأتي الشاعر ويجعل البحر بخيلاً أمام جود الملك وسماحه، هذا ما يسمّى تشبيهاً منعكساً للتفضيل، وإنّه وصف بليغ وصل إلى ذروته في المبالغة. يستطيع الشاعر أن يمكّن الذي نظنّ حدوثه مستحيلاً، فهو ذو خيال واسع يصيغ من المحال أمراً محتملاً، ولهذا وصف الله سبحانه في كتابه الكريم الشعراء بأنّهم ﴿فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾[٣] هذا إذا ما نظرنا إلى الجانب الإيجابي من تفسير هذه الآية للشعراء، وأن نعتبر هيامهم في كلّ واد يعني هيام خيالهم الشعري. ولو قرأنا بعضاً من ديوان شهاب الدين، اطّلعنا على الإكرام الذي تلقّاه من الملك السيّد علي، والذي رافقه مدّة تقارب ثلاثة عقود.

والدرّ اليتيم هو الدرّ الذي لا مثيل له، كما يقال في الأدب (البيت اليتيم)، وهو البيت الذي يعادل قصيدة بأكملها معنىً ومفهوماً؛ وكما نقول (فلان يتيم عصره في العلم، أو في الشجاعة، أو في الكرم)، إذا ما أردنا أن نصفه بالأعلم والأشجع والأكرم. والدرّ اليتيم هو الدرّ الذي يعزّ نظيره، وهو

---

[١]- شهاب الدين، الموسوي، **ديوان طراز البلغاء وخاتمة الفصحاء المعروف بابن معتوق**، ص ٧٢.

[٢]- أحمد محمّد، عطيّة، **أدب البحر**، ص ١٨١.

[٣]- الشعراء: ٢٢٥

الأغلى والأثمن بين الدرر الأخرى، وهذا يعني أنّ الملك يعطي مَن سأله أفضل ما لديه؛ وهو لا يتعلّم الكرم من البحر، بل هو أكرم من البحر كثيراً، ولو كان كرمه لدى البحر، لأظهر دره لطالبها ولم يخزنها في أعماقه. ومن صفات البخيل أنّه يخزن أشياءه الثمينة ولا يظهرها لمن يطلبها منه، ولهذا نرى البخلاء إذا ما أرادوا أن يتصدّقوا، تيمّموا الخبيث لينفقوه. إذن جاء البحر في هذا البيت ليدلّ على البخل أمام كرم الملك، والدليل أنّ البحر يخزن دُرّه في قعره، بينما الملك يبذل أغلى ما عنده للذين يلتمسون منه العطاء. وقد استخدم الشاعر فنّ التجسيد للبحر، فجعله هو الذي يخزن دره في قعره. وتجاوز القوانين الطبيعيّة مثل جاذبيّة الأرض وقوانين الفيزياء في السوائل، ليمنح البحر إرادة تتصرّف.

سخاء بحر الملك

قال يمدح السيّد منصور المشعشعيّ:

أَأَسْتَسقِي السَّحَائِبَ نَازِحَاتٍ وَهَذَا البَحرُ مُعتَرِضاً حِيَالِي[١]

اتّخذ الشاعر من البحر رمزاً لكرم الملك، وفي هذا الرمز تعريض للملك أن يتعهّد الشاعرَ بالخير، وأن يسوق إليه الجميل. في هذا البيت الذي جاء بصيغة السؤال الإنكاري، يقول الشاعر كيف أجلس منتظراً المطر من سحابة تمرّ وقد تمطر أو لا تمطر، والبحر حاضر ومتّسع أمامي؟! يصف الملك بالبحر لكثرة كرمه وجوده. هل من المعقول أن يستعطي من غيره وهو كالبحر في كرمه وعطائه؟! والملوك لا يضنّون على الشاعر الذي يمدحهم، خاصّة إن كان هذا الشاعر شخصا بوزن شهاب الدين، والذي عرف الملوك قيمة مدحه لهم، هذا المدح الذي يصبح كإعلان رسمي يدخل في حيّ ويخرج من حيّ آخر، يردّده الشيوخ لصغارهم، والأزواج لزوجاتهم؛ ويتناوله المدرّسون في مدرسة العلوم بالإعراب والتفسير والشرح، المدرسة التي أسّسها السيّد عبدالمطّلب جدّ الملك في الحويزة؛ وماذا يبتغي الملك أكثر من هذا؟! وكيف لا يختصّ الشاعرَ بمعروفه؟!

[١]- شهاب الدين، الموسوي، **ديوان طراز البلغاء وخاتمة الفصحاء المعروف بابن معتوق**، ص ٤٣.

تكرّر موتيف البحار كثيراً في قصائد شهاب الدين، فما الأفكار المستترة وراء هذا التكرار؟ اتّخذ شهاب الدين رموزاً مختلفة في قصائده، ومعظمها كانت تتوفّر في بيئته آنذاك، منها الظباء والخيول، والهلال والبدر، والنجوم التي كانت تتلألأ ليلًا في غياب الكهرباء؛ وكلّها موتيفات رمز بها إلى ما كان في نفسه من حاجة. والبحار التي أحبّها لصفائها الذي يشبه صفاء طباعه القرويّة النقيّة، ولهذا نرى الإلحاح والإصرار في تكرارها كموتيف، ولا مراء أنّه كان يريد من خلال هذا الموتيف أن يدعو المتلقّي ليتطبّع بطباع البحار بما فيها من جود وكرم وصفاء. لا يبتغي الشاعرُ بهذا البيت والأبيات الأخرى التي جاءت في الثناء والتمجيد، مدحَ الملوك فحسب؛ بل يريد أن يدعو الآخرين بالتخلّق بالصفات الحميدة أيضاً. الملك شجاع وكريم، فعليكم أيّها الناس - إذا ما أردتم أن تقتربوا إلى الكمال -أن تكونوا شجعان وكرماء، أن تكونوا ذوي همم، وبحاراً في السماح والعطاء. وإذا ما نظرنا إلى هذا البيت من زاوية أخرى، نجد أنّ الشاعر ينهى الإنسان الحرّ - إن تعرّض لضغوط الحياة واضطرّته الظروف إلى طلب الحاجة - ينهاه من أن يرفع حاجته إلى الشخص الحريص الذي لا تندّي يمينه، الشخص الذي يمنعه جشعه من البذل، فلا يسوق جميلاً، أو يكتفي بإعطاء الزهيد.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

التسلّط على البرّ والبحر

قال يمدح الملك السيّد علي:

وَكَم قَبلَهُم صَبَّحتَ قَوماً بِغَارَةٍ فَلَم يَحتَمُوا مِنهَا بِبَرٍّ وَلا بَحرِ[١]

جاءت كم الخبريّة هنا لتبيّن أنّ الذين خرجوا على الملك لم يكونوا قلّة، ولم تختصر محاولاتهم الباغية ضدّ الملك الذي نعته الشاعر في أكثر من قصيدة أنّه ملك عادل، لم تختصر على محاولة واحدة أو محاولتين. واستخدام فعل (صَبّحتَ) تعني أنّ معظم الحروب كانت تُشنُّ في وضح النهار.

[١]- شهاب الدين، الموسوي، **ديوان طراز البلغاء وخاتمة الفصحاء المعروف بابن معتوق**، ص ١٠١.

ولو نظرنا إلى كتب التاريخ، لدعمتنا في رأينا حول كثرة الفتن التي أثارها الذين خرجوا على الملك من غير حجّة مقنعة.[١] وفي معظم هذه الحروب كان الملك السيّد علي يخرج من المعركة منتصراً[٢]. «أحيانا يُتّخذ البحر رمزاً للمنقِذ والمخلّص[٣]» كما ظنّه الفارّون من الملك فاحتموا فيه، ولكنّ الملك إذا ما غار على قوم باغين، هزمهم شرّ هزيمة؛ وهربوا ليحتموا في مغارة ما، أو ملجأ، أو مدخل، أو أن يهربوا عن طريق البحر؛ لكنّهم لم يجدوا مكانا آمنا للاحتماء فيه، ولم يستطيعوا الفرار من يد الملك وجيشه؛ لا في البرّ ولا في البحر! وجاء البحر لعجزه في احتمائه للفارّين من يدّ الملك الفتّاكة. استخدم الشاعر الطباق الحقيقي بين (البرّ والبحر)، ليسدّ الطرق كلّها أمام الفارّين من بطش الملك وجيشه. فموتيف البحر رمز للخلاص من جهة الفارّين، وفي المقابل هو رمز للعجز من جهة الملك الذي صوّر الشاعر قدرته الفائقة أنّها لا يصعب أمامها شيء.

وقال يمدحه في قصيدة أخرى مشيرا إلى غضبه حين الحرب:

لَو تَرتَمي فِي اليَمِّ مِنهُ شَرارةٌ لَغَدَت بِهِ الأمواجُ ذَاتَ وُقودِ[٤]

لقد بالغ الشاعر في غضب الملك إذا ما تعرّضت مملكته إلى خطر داخلي أو خارجي؛ من الانقلابات العسكريّة التي تحدث داخل المملكة لأجل كرسي السلطة؛ فترى الأخ يقتل أخاه، والابن ينفي أباه، وأبناء العمومة يتقاتلون وتسيل الدماء أنهارا لأجل كرسي الحكم. أمّا الخطر الخارجي ضدّ الملك فيأتي من جانب الدول المجاورة التي قد تسوّل لها أنفسها فتطمع في خيرات إمارة المَلك، أو قد تطمع بالتوسّع فتشنّ بجيوشها نحو الحويزة ونهري الكرخة وكارون؛ وعندها يشتعل بأس الملك نارا ليدفع شرّ هؤلاء الأشرار المعتدين. والشاعر يستطيع أن يتلاعب بقوانين الطبيعة حسب غاياته، فيصيّر البحر الذي من طبيعته أن يطفئ النار، يشتعل من شرارة واحدة. وجاء

---

[١]- عبدالنبي، قيّم، **پانصد سال تاريخ خوزستان**، ص ١٩٩. وكذلك محمد علي، رنجبر، **مشعشعيان ماهيت فكري -اجتماعي وفرايند تحولات تاريخي**، ص ٣٢٥

[٢]- عبدالنبي، قيّم، **پانصد سال تاريخ خوزستان**، ص ١٩٩.

[٣] - رسول، بلاوي، مرضيّة، آباد، **موتيف النهر والبحر عند يحيى السماوي**، ص ٩

[٤]- شهاب الدين، الموسوي، **ديوان طراز البلغاء وخاتمة الفصحاء المعروف بابن معتوق**، ص ١٠٩.

الشاعر بذكر متعلّقات البحر كالأمواج، واللجج، والمدّ الزاخر، ليمنح موتيفه قدرة ورهبة؛ فإن كان البحر هادئاً دون أمواج متلاطمة، ودون مدّ عالٍ، فلن يخشاه وارده؛ ولا يوصف ببحر المنايا، ولا يُضرب به المثل لمن أراد العلى أن يركب أمواجه.

نماذج أخرى

وفي ختام مقالنا نأتي بنماذج أخرى من الديوان دون شرحها ودراستها لكي لا يطول المقال، ونشير إشارة مقتضبة عن قصد الشاعر من البحر أو البحار:

قال في قصيدته البردة عندما تطرّق إلى مدح عترة الرسول:

يَدري الخَبيرُ إِذَا مَا خَاضَ عِلمَهُمُ أيُّ البُحورِ الجَوارِي فِي صُدورِهِمِ[١]

وجاء بذكر مفردة البحور بدل البحر للمبالغة في علم آل الرسول، وهذا ليس عجيباً إذ إنّهم تخرّجوا من مدرسة جدّهم النبيّ محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم.

وقال يمدح الملك السيّد منصور:

وَبُحورُ الظّلامِ غُرنَ وَعَامَتْ حُوتُهَا مِن ضِيائِهِ فِي غَديرِ[٢]

ووصف الظلام بالبحور حين عمّ على البلاد وغطّاها بسواده الحالك، ولا ريب أنّه يقصد الظلم الذي فشا بين الناس وسيطر على حياتهم ليقلبها إلى جحيم يحترق بها الضعفاء. ولكن حين اعتلى الملك منصور العرشَ، غارت هذه البحور السوداء من ضيائه الذي يبشّر بالعدل والخير والوقوف في وجه الظالمين.

وقال يمدح الملك السيّد بركة:

بَشَرٌ يُريكَ البَحرَ تَحتَ رِدَائِهِ وَالبَدرَ فَوقَ سَريرِهِ المُوضونِ[١]

---

[١]- شهاب الدين، الموسوي، **ديوان طراز البلغاء وخاتمة الفصحاء المعروف بابن معتوق**، ص ١٥.

[٢]- المصدر نفسه، ص ٢٠.

والبحر العظيم الذي استطاع الملك السيّد بركة أن يحتويه تحت ردائه، يرمز إلى كرم الملك وعدله وصبره وطول باله. وهذه الصفات يجب أن يتخلّق بها كلّ ملك.

وقال يمدح الملك السيّد علي:

يا مَن إِذَا حَدّثتُ عَنهُ بِأنّهُ بَحرٌ فَلا أخشى وَلا أَتَحَرّجُ[٢]

والملك السيّد علي ثانية، هذا الملك الذي لا مراء أنّه أكرم شاعرنا ذلك الكرم الذي جعله يكثر في مدحه ويبالغ. يقول الشاعر بثقة تامّة إنّه لم يبالغ في مدح هذا الملك إذ يصفه بالبحر في كرمه، وفي عظمته وخُلقه، فهو إذن لا يتحرّج ولا يخشى من لوم الذين قد يتّهمونه بالمبالغة.

وقال يمدح السيّد محسن بن الملك السيّد علي:

فِي وَجهِهِ نورُ الهدُى وُبِغِمدِهِ نارُ الرّدَى وَبِكفّهِ بحرٌ طَمَى[٣]

لم يختصر الشاعر في استخدامه موتيف البحر على مدح الملك فحسب، بل تعدّى إلى أبناء الملك أيضا، حيث وصف وجه السيّد محسن بأنّه منوّر، ووصف سيفه بالنار التي تهلك الأعداء وتميتهم، ثمّ وصف كفّه بالبحر لكثرة كرمه وسخائه.

النتائج

استخدم شهاب الدين الحويزي شاعر القرن الحادي عشر الهجري البحر، والبحور، والبحار، والبحرين، أكثر من خمسين مرّة، واستخدم اليمّ أقل من عشر مرّات؛ فموضوع البحار في ديوانه موتيف جليّ. والموتيف في مقالنا هذا، رمز استخدمه الشاعر للعناية بموضوع البحار؛ وقد بيّن مخاطر لجج هذه البحار، وكشف من خلالها ما يشغل ذهنه، كما كشف بهذا الرمز صفات الملوك

---

[١]- **المصدر السابق**، ص ٣٥.

[٢]- **المصدر نفسه**، ص ١٢١.

[٣]- **المصدر نفسه**، ص ١٢٩.

الذين عاصرهم. وموتيف البحر أضفى على الأبيات جمالاً لدى المتلقّي، فعندما نسمع لفظه، يستحضرنا جمال طبيعته، ورمال شواطئه، ونوارسه، وسفنه...وهذه تمنح الروح بعض الهدوء والراحة. وهذا الموتيف يُظهر لنا مدى علاقة شاعرنا بالبحر، وقد ضخّ من خلاله ما خلج في داخله من مدح للملوك الذين عاصرهم. وفي جميع هذه الأسماء أبدع الشاعر في المجاز والتشبيه والكنايات وغيرها من المحسنات اللفظيّة، وهو يشبّه كرمَ وجودَ ملوك الحويزة بالدرر التي توجد في قعرها، وقد يفضّل كرمهم على كرم البحار بما تحتويه من لؤلؤ وخير تبتغيه العباد؛ ففي هذه الحالة على البحار أن تتعلّم من الملك الجود والإحسان، وليس العكس. وقد شبّه كرم الملوك المشعشعيّين بالبحار التي ظهرت موتيفًا واضحاً بسبب تكرارها وإصرارها في تقديم نفسها للمتلقّي، وفي أبيات أخرى جعل كرم الملك يفوق على كرم البحر وهو يظهر درره للمستحقّين المقبلين عليه، بينما البحار تخبّئها في أعماقها؛ فشتّان بين هذا الكرم وذلك البخل. إنّ هذه البحار لا تستطيع أن تطفئ شرارة غضب الملك أمام الأعداء، كما أنّها ورغم وسعتها لا تتمكّن من حماية أولئك الأعداء الذين بغوا على الملك وحاربوه، ثمّ اضطرّتهم جيوشه إلى الفرار من ساحة الحرب، فاتّجهوا نحو البحار ظانّين أنّها ستنجيهم من قهره نظرا لوسعتها ووفور طرق الفرار فيها؛ لكنّ الملك مسيطر على البراري والبحار، وستنالهم جيوشه أينما اتّجهوا. وهناك نموذج جاء الشاعر بذكر البحر فيه وهو يقصد بحر الشعر، وخصّ بحر الطويل للتشبيب بحبيبته. فهو موتيف واحد، لكنّ الشاعر استخدمه للحالة ولمتضادّها، وقد دخل البحر الذي خلقه الله، والمألوف معنىً بواسطة هذا الموتيف، ثمّ خرج ليلج في بحر آخر هو من خلق الفراهيدي.

وقد استخدم موتيف البحر رمزاً سلبيّاً محفوفاً بالمخاطر، وأنّه ليس كالوشل. كما جاء به رمزاً إيجابيّاً يتدفّق بالنضار إشارة إلى منتهى كرمه وجوده؛ وقد ينقلب هذا الموتيف من سائل عذب إلى نار تسفع فتحرق الأعداء حرقًا، وجاء رمزاً للضيق عندما جعله الشاعر لا يحمي الأعداء رغم وسعته. ويحاول الشاعر أن يستخدم فنّ التعريض في استخدامه البحار وعلاقتها مع كرم الملك ليجود عليه ويخصّه بالعطايا.

قائمة المراجع والمصادر

أ) الكتب العربيّة

القرآن الكريم

١- ابن أبي سلمى، زهير، **ديوان زهير بن أبي سلمى**، بيروت: دار الكتب العلميّة، ١٩٨٨م.

٢- الأنصاري (ابن منظور)، محمد بن مكرم، **لسان العرب**، بيروت: دار إحياء التراث العربي. ١٩٨٨م.

٣- باشا، عمر موسى، **تاريخ الأدب العربي العصر العثماني**، بيروت: دار الفكر المعاصر، ١٩٨٩م.

٤- جمال الدين، مصطفى، **ديوان مصطفى جمال الدين**، بيروت: دار المؤرّخ العربي، ١٩٩٥م.

٥- الرضي، الشريف، **ديوان الشريف الرضي**، تحقيق عبدالفتاح محمد الحلو، العراق: دار سلسلة التراث، ١٩٧٦م.

٦- الشافعي، محمد، **ديوان الشافعي**، تحقيق محمد عبدالمنعم الخفاجي، القاهرة: مكتبة الكليات الأزهريّة، ١٩٨٥م.

٧- شبر، جاسم حسن، **تاريخ المشعشعيّين وتراجم أعلامهم**، النجف: مطبعة الآداب، ١٩٦٥م.

٨- طه، المتوكّل، **حدائق إبراهيم**، بيروت: المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر، ٢٠٠٤م.

٩-عبدالله نصر، عارف، **أبو معتوق الحويزي شاعر الدولة المشعشعيّة**، بيروت: الدار العربيّة للموسوعات، ٢٠١٨م.

١٠- عطيّة، أحمد محمّد، **أدب البحر**، القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٨م.

١١- اللامي، عبد الرحمن كريم، **شاعر الأهواز القومي الملك علي بن خلف الحويزي**، لبنان: الدار العربيّة للموسوعات، ٢٠١٢م.

١٢- المتنبّي، أبو الطيّب، **ديوان المتنبّي**، بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٨٣م.

١٣- الموسوى الجزائري، سيد نعمة الله، **الأنوار النعمانية**، الجزء ٤، مطبعة شركة چاپ، ١٣٨٠ق.

١٤- الموسوي، شهاب الدين، **ديوان طراز البلغاء وخاتمة الفصحاء المعروف بابن معتوق**، ضبطه سعيد الشرتوني، بيروت: المطبعة الأدبيّة، ١٨٨٥م.

١٥- الملائكة، نازك، **قضايا الشعر المعاصر**، بغداد: منشورات مكتبة النهضة، ١٩٦٧م.

١٦- ناصر عاشور، فهد، **التكرار في شعر محمود درويش**، الأردن: دار الفارس للنشر والتوزيع، ٢٠٠٤م.

ب) الكتب الفارسيّة

١٧- آريانپور كاشانى، عباس ومنوچهر، **فرهنگ انگليسى به فارسى**، تهران: مؤسسه انتشارات أمير كبير، ١٣٧٥ ش.

١٨- رنجبر، محمد علي، **مشعشعيان ماهيت فكري -اجتماعي وفرايند تحولات تاريخي**، تهران، مؤسسه انتشارات آگه، ١٣٨٢ ش.

١٩- قيّم، عبدالنبي، **پانصد سال تاريخ خوزستان**، تهران: نشر اختران، ١٣٩٣ش.

ج) المجلّات

٢٠- آباد، مرضيّة، وبلّاوي، رسول، «موتيف النهر والبحر عند يحيى السماوي»، **مجلّة العلوم الإنسانيّة الدوليّة**، العدد ٢٠، ٢٠١٣م.

٢١- بلاوي، رسول، وآخرون، «موتيف استدعاء الشخصيّات التراثيّة في شعر يحيى السماوي»، **مجلّة الأدب العربي**، العدد الأوّل، السنة السادسة، ١٣٩٣ش.

د) المواقع الإلكترونيّة

٢٢- جبريل، ليلى، «البحار السبعة وأسماؤها»، **المقال**، https://mqaall.com/seven-seas-names/، (٢٠٢١م).

٢٣- حيدري، ميلاد، «موتيف چيست؟»، **هنر فردي**، https://honarfardi.com/public-skills/routine/what-is-motif/، (١٤٠١ش).

٢٤- دار الإعلام العربيّة، «الموتيف في الأدب الشعبي والفردي»، **البيان**، https://www.albayan.ae/paths/books/٢٠١٢-٠٦-١٠-١٦٦٦١٦٨/١، (٢٠١٢م).

٢٥- قواميس على الإنترنت،، **قاموس إنجليزي عربي إلكتروني**، https://www.wordreference.com/enar/motif

نقش بن‌مایه دریاها در دیوان شهاب الدین حویزي

عبدالسعید مقدم*؛ خیریه عجرش **

مقالۀ علمی - پژوهشی

DOI: 10.22075/lasem.2023.28919.1351

چکیده:

هر گاه نام دریا را در نثرمان بیاوریم، اغلب منظورمان همان آب‌های حقیقی آبی رنگ شوری است که کشتی‌ها روی آنها، وماهی‌ها ونهنگ‌ها در قعرشان شناورند. اما اگر شاعر آنها را در اشعارش بیاورد، ممکن است قصدش معنای حقیقی آنها نباشد، همان طور که شهاب الدین حویزی در بیشتر قصیده‌های خود آنها را بصورت مجازی ونقش مایه استفاده کرد. و این مستلزم بررسی برای کشف معانی نهفته در سطرهای ابیات آنهاست. ما در بررسی بیت‌هایی که شاعر در آنها نام دریاها را آورده، از روش توصیف وتحلیل استفاده کرده وهدف از ذکر دریاها را بیان کردیم. وبه این نتیجه رسیدیم که نقش‌مایه‌ی دریا به ابیات زیبایی می‌بخشد، وقتی لفظش را می‌شنویم، یاد زیبایی طبیعتش، شن های سواحل، مرغ های دریایی وکشتی‌هایش می‌افتیم؛ واین به روح آدمی آرامش وآسایش می بخشد. شهاب الدین متضاد وکنایه ومجاز را در کاربرد نقش مایه دریا استفاده کرده گاهی پادشاهان را به دریاهایی که صدف‌های گران‌بهای خود را به فقیران عرضه می‌کنند توصیف می‌کند، در حالی که دریاهای واقعی صدف‌هایشان را در قعر خود پنهان می‌کنند. گاهی شاعر کسانی که در دریاها در جستجوی روزی خود هستند را به کرم پادشاه راهنمایی می‌کند.

کلیدواژه‌ها: شهاب الدین حویزي، نقش مایه، دریاها، مشعشعي‌ها، مدح.

* -دانشجوی کارشناسی‌ارشد گروه زبان وادبیات عربی دانشگاه شهیدچمران،ایران:(نویسنده مسؤول)ایمیل: saeed135057@gmail.com

** - دانشیار گروه زبان و ادبیات عربی دانشگاه شهید چمران، اهواز، ایران.

تاریخ دریافت: ۱۴۰۱/۰۸/۱۵هـ.ش= ۲۰۲۲/۱۱/۰۶م - تاریخ پذیرش: ۱۴۰۲/۰۱/۱۱ هـ.ش= ۲۰۲۳/۰۳/۳۱م.